(إِذا طَمِعٌ يَوْماً عَراني قَرَيْتُه ... كتائِبَ يَأْسٍ كَرَّها وطِرادَها) .

(أَكُدُّ ثِمادي والمياهُ كَثيرَةٌ ... أُعالِجُ مِنها حَفْرَها واكْتِدادَها) .

(وأَرْضَى بها مِنْ بحرِ آخرَ إنّهُ ... هُوَ الرِّيُّ أن تَرْضَى النّفُوسُ ثِمادَها) .

المقصودُ قولُه : إنه هو الريُّ وذلك أَن الهاءَ في " إنه " تحتَملُ أمرين : أحدُهُما أن تكون ضميرَ الأمْرِ ويكونَ قولُه " هو " ضمير " أن ترضى " وقد أَضْمِرَ قبل الذِّكْر على شريطةِ التفسير الأصل أن الأمر أن ترضى النفوس ثمادها الري ثم أضمر قبل الذكر كما أضمِرَتِ الأبصارُ في (فإِنها لا تَعمى الأَبصارُ) على مذهب أبي الحسنِ ثم أتى بالمضْمَرِ مصرّحاً به في آخر الكلام فَعُلِمَ بذلك أن الضميرَ السابقَ له وأنه المرادُ به . والثاني أن تكون الهاء في " إنه " ضميرَ أن ترضى قبلَ الذكر ويكونَ " هو " فَصْلاً ويكونَ أصلُ الكلام : إنّ أنْ ترضى النفوسُ ثِمادَها هو الرِّيُّ ثم أُضمِرَ على شريطةِ التفسير . وأيُّ الأمرين كان فإِنه لا بُدّ فيه من " إنّ " ولا سبيلَ إلى إسقاطِها لأنك إنْ أسقطتَها أفضَى ذلك بك إلى شيءٍ شنيعٍ وهو أن تقولَ : وأرضَى بها من بَحْر آخرَ وهو الريُّ أن ترضَى النفوسُ ثمادَها .

هذا وفي " إنّ " هذه شيءٌ آخرُ يوجبُ الحاجةَ إليها وهو أنّها تتولّى من رَبْط الجملةِ بما قبلها نحواً مما ذكرتُ لك في بيتِ بشارٍ . ألا ترى أنك لو أسقطتَ " إن " والضميرين معاً واقتصرتَ على ذكرِ ما يَبقى من الكلامِ لم تَقُلْه إلا بالفاء كقولك : وأرضَى بها من بَحْرِ آخرَ فالريُّ أن ترضَى النفوسُ ثِمادَها . فلو أنّ الفيلسوفُ قد كان تتبّعَ هذه المواضعَ لَما ظَنّ الذي ظنّ .

هذا وإِذا كان خلفٌ الأحْمرُ وهو القُدوةُ ومَنْ يؤخذُ عنه ومَنْ هو بحيثُ يقولُ